شرح القواعد الأربع

لشيـــخ الإســـلام المجـــــــدد

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

- رحمه الله تعالى -

لفضيلة الشيخ

صالح بن سعد السحيمي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

[شريطين مفرغين]

أعد هذه المادة

سالم بن محمد الجزائري

شرح سنة ١٤٢٥هـ

بسم الله الرحمـٰـن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه أجمعين.

وبعد؛ قال المؤلِّف رحمه الله تعالى:

[المتن]

بسم الله الرحمـٰـن الرحيم

أسألُ اللهَ الكريم ربّ العرش العظيم أنْ يتولاّكَ في الدنيا والآخرة، وأنْ يجعلكَ مبارَكًا أينما كنتَ، وأن يجعلَكَ ممّن: إذا أُعطيَ شكَرَ، وإذا ابتُلي صبَر، وإذا أذنبَ استغفر. فإنّ هؤلاء الثلاث عنوان السعادة.

[الشرح]

هـٰذه المقدمة العظيمة التي افتتح بها الشيخ وهي: الدعاء، وهـٰذه سنة؛ أن يدعو المسلم بين يدي درسه أو حديثه أو خُطبته أو في كتابه أو في ختامه، والرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فعل هـٰذا؛ وكان يدعو للمسلمين، وكان يوجِّههم إلى ما فيه الخير، فكون الداعية أو الشيخ أو العالم يبدأ بمثل هـٰذه الدعوات المباركة؛ وهو سؤال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يتولاك أينما كنت، فمن تولاّه الله فلا غالب له، ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧)﴾[محمد:٠٧]، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)﴾[المائدة:٥٥-٥٦]، فحسْبك أن يكون الله وليُّك ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[البقرة:٢٥٧]، وولاية الله -عز وجل- لا تنال إلا باتّباع السنة، واتباع هدي المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا تُنال ولاية الله بغير ذلك، لا تنال بالممارسات الرِّياضية الصوفية، ولا تنال بتكليف نفسك ما لا تطيق مما لم يأمر به الله، ولا ما لم يأذن به، ولا ما لم يبينه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مما يبتدعه المبتدعون، ويروّجه المروجون، إنما تنال وَلاية الله بالسّير على هدي كتابه وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم دعا بـ(وأنْ يجعلكَ مبارَكًا أينما كنتَ)، ومن رزقه الله البركة فحسبه بها من بركة، فنسأل الله أن يجعل لنا ولكم نصيبا من هـٰذه الدعوات المباركة التي بدأ بها الشيخ.

ثم دعا بدعوة ثالثة، وهي أن يجعلك الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أخي المؤمن (**ممّن: إذا أُعطيَ شَكَرَ، وإذا ابتُلي صبَر، وإذا أذنبَ استغفر**)، هـٰذه الكلمات الثلاث هنّ عنوان سعادة البشر، أيّ بشر على وجه الأرض إذا لم يتصف بهـٰذه الصفات الثلاث فهو شقي.

إذن عنوان السعادة: الشكر عند النَّعماء، والصبر عند البلاء، والاستغفار من الذَّنب، هـٰذه عنوان السعادة، فينبغي للمسلم أن يجتهد في أن يكون كذلك.

إذا رزقه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- نعمة شكر الله بالاستقامة على طاعته والعمل بما يُرضيه، وأعظم نعمة يجب أن نشكر الله عليها هي أن هدانا للإسلام، فالحمد لله الذي هدانا لهـٰذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والشكر سبب لديمومة النعمة، ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)**﴾[إبراهيم٧٠]، فالشكر إنما يكون بامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، هـٰذا هو دليل الشكر.

قال: (**وإذا ابتُلي صبَر**) وصف الله المؤمن بوصف عظيم في حال السراء والضراء، في حديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن**»،[1] فلابد من الشكر عند النعماء، والصبر عند الضراء، ولأهمية الصبر فإن منزلته كمنزلة الرأس من الجسد، ولذلك ذكره الله في القرآن في أكثر من تسعين آية، لذلك فإنّه لابد من الصبر على طاعة الله، ولابد من الصبر عن معصية الله، ولابد من الصبر على أقدار الله، وهـٰذه أنواع الصبر الثلاثة التي لابد أن يتحلى بها المؤمن.

قال: (**وإذا أذنب استغفر**) من طبيعة البشر الذنوب، كل البشر يذنبون، وتصدر منهم الذنوب، والعصمة للأنبياء -عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فإنهم لا تصدر منهم الكبائر، والكمال لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وحده؛ لكن المؤمن الحق هو الذي إذا أذنب استغفر، وانظر ما وصف الله به المؤمنين في آل عمران و﴿**سَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ**

---

[1] مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم (٢٩٩٩).

الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَـئِكَ﴾ وهٰذا هو الشاهد ﴿أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦)﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٦]، الذنوب من طبيعة البشر ((**كلكم خطاؤون وخير الخطائين التوابون**))،[1] ويقول -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- أيضا: ((**لو لم تذنبوا لخلق الله أقواما يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم**))[2] فالذنوب من طبيعة البشر؛ ولكن المصيبة هي الإصرار على الذنب.

أما الذي صدر منه شيء فعليه أن يرجع إلى الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١)﴾[الأعراف:٢٠١]، فإذا أذنبت يا أخي العبد ارجع إلى ربك، تذكر أن لك ربا يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأنه يغفر الذنب ويقبل توبة التائبين، ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾[الزمر:٥٣].

ﮋﮋ◈ﮊﮊ

[المتن]

اعلمْ أرشدكَ اللهُ لطاعته: أنّ الحنيفيّة ملّة إبراهيم: أن تعبد الله [وحده] مخلصاً له الدين كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦].

فإذا عرفت أنّ الله خلقك لعبادته فاعلم: أنّ العبادة لا تسمّى عبادة إلا مع التوحيد، كما أنّ الصلاة لا تسمّى صلاةً إلا مع الطّهارة، فإذا دخل الشّرك في العبادة فسدتْ كالحدَث إذا دخل في الطهارة.

فإذا عرفتَ أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار، عرفتَ أنّ أهمّ ما عليك: معرفة ذلك، لعلّ الله أن يخلّصك من هٰذه الشّبَكة، وهي الشرك

---

[1] **سنن الترمذي**: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٤٩)، حديث رقم (٢٤٩٩).

سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث رقم (٤٢٥١).

قال الشيخ الألباني: **حسن**.

[2] **مسلم**: كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، حديث رقم (٢٧٤٨).

بالله الذي قال الله تَعَالَىٰ فيه: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَــاء﴾[1]، وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.

[الشرح]

هــٰذه مقدمة للقواعد التي سيبينها الشيخ فذكر الحنيفية التي هي ملة إبراهيم عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)﴾[البينة:٥]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧)﴾[آل عمران:٦٧]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠)﴾[النحل:١٢٠]، والحنيفية هي الميل إلى طريق الهدى والسعادة، وهو الميل إلى الاستقامة وما يرضي الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، وهي ملة إبراهيم الخليل عليه السلام، وحقيقتها أن تعبد الله مخلصا له الدين، وهــٰذا لا يتحقق إلا بأمرين:

- إفراد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- بالعبادة.
- ونبذ عبادة الطاغوت.

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَــمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾[البقرة:٢٥٦]، ومعلوم أن الحكمة من خلق الجن والإنس إنما هي عبادة الله -سُــبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- كما قال جل وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)﴾[الذاريات:٥٦-٥٨]، وهــٰذه العبادة لا تتحقق إلا بأن تُصرف كلها لوجه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- وأن يفرد الله -عز وجل- بهــا، وهــٰذا لا تحقق إلا بالبعد عن الشرك؛ لأن الشرك ضد العبادة، فلا يتحقق إلا بالبراءة مــن الشــرك وأهله، كما حكى الله تعالى عن إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِــهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِــهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨)﴾[الزخــرف:٢٦-٢٨]، فلابد من أن يفرد الله -تَبَارَكَ وَتَعَــالىٰ- بالعبــادة، ولا يتحقق ذلك إلا بالسلامة من الشرك، والشرك قد يكون أكبر وقد يكون أصغر، وقد يكون خفيا وقد يكون جليا، وقد يكون ظاهرا وقد يكون باطنا، وقد يكون في الربوبية، وقد يكون في الألوهية، وقد يكون في الأسماء والصفات، وهو أخفى من دبيب النمل في ظلمة الليل، كما ثبت ذلك في الأحاديث

---

[1] سورة: النساء (٤٨، ١١٦).

الصحيحة، فيجب أن نحذر منه، وإذا كان إبراهيم الخليل عليه السلام قد خاف من الشرك فمن يأمن البلاء بعد إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥)﴾[إبراهيم:٣٥]، فالشرك أخوف ما يكون على العبد؛ لأن بعض أنواعه أعمال قلبية لا يطلع عليها كل أحد، لا يطلع عليها إلا الله وحده، فبعضه يكون في القلوب؛ قد يكون بالخوف، وقد يكون بالرجاء، وقد يكون بالإنابة إلى غير الله جل وعلا، وقد يكون بالتوكل على غير الله، وقد يكون بالتعلق بغير الله، وقد يكون بكون كل الأعمال نفاقا ورياءً، وكل هـٰذا لا يعلمه إلا الله وحده، ولذلك كان الخوف منه أشد من غيره؛ لأنه ذنب لا يغفره الله لمن مات عليه ﴿إِنَّ اللَّـهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨، ١١٦] فعلى المسلم أن يتفقّد نفسه وأن يحذر من الشرك؛ لأنه أخطر من جميع الذنوب.

تجد شخصا الآن يشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويصلي، ويزكي، ويصوم، ويحج، ويفعل كثيرا من الطاعات؛ لكنه ينقض هـٰذا كله بكلمة أو بفعل، مثال الكلمة لو أن هـٰذا الشخص يصوم وينطق بالشهادتين ويزكي ويفعل جميع الطاعات لو أنه قال لمخلوق -سواء كان نبيا، أو ملكا، أو عبدا، أو صالحا، أو حجرا، أو مدرا، أو شخصا حيا كان أو ميتا-: أغثني يا فلان، أنقذني يا فلان، أنا في حماك يا فلان. فيما لا يقدر عليه إلا الله. ما حكم هـٰذه الأعمال كلها؟ كلها باطلة، كل الذي فعله ذهب هباء منثورا؛ ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣)﴾[الفرقان:٢٣]، ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥)﴾[الزمر:٦٥].

فانتبهوا -يا إخواني- ما أكثر الشركيات في بلاد المسلمين، اليوم، وهي سبب تفرقهم، وسبب تباعدهم، وسبب فرقة قلوبهم، فضلا عن أجسامهم.

إذا وجدت مسلما له شيخا يطوف به ويحج إليه ويطلب منه المدد ويطلب منه الغوث والعون؛ أنا سمعت في بعض البلاد الإسلامية التي تعاني من الأعداء ومن احتلال الأعداء، ومع ذلك نسمع في إذاعاتهم الاستغاثة بغير الله، فمن أين النصر؟ واحد يقول: أغثنا يا صلاح الدين. صلاح الدين يُغيثك؟ هـٰذا يجعلك لا تغاث، النداء هـٰذا يجعلك لا تغاث. أعطنا يا فلان، يا صلاح الدين، حتى ولو قلت: أنقذني يا رسول الله، هـٰذا الشرك بعينه الذي لا يغفره الله لمن مات عليه.

فانتهوا يا إخواني، هناك أشياء يتساهل بها الناس، ويظنونها هيّنة ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّـهِ

عَظِيمٌ (١٥)﴾[النور:١٥]، «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**»(١) تجد شخصا يصوم ويصلي ويزكي وإذا به فجأة يسبّ الله ورسوله، نسمع في بعض البلاد الإسلامية -وللأسف- أول ما تدخل تسمع سب الله ورسوله، من أين تريد النصر والتمكين وأنت تسب الله ورسوله، وتسب دين الله، حتى ولو غضب على سيارته قال لها: يلعن دينك البعيدة. ما هو دينها؟ أولا هي ليس لها دين، فأنت تسب دينك من حيث لا تدري.

فانتبهوا الشرك خطير جدا، لا تظنوا أن المسألة سهلة، بعض الناس يقولون: المسلمون الآن يضطهدون في كل مكان، وأنتم تتكلمون عن الشرك. والله سبب اضطهادهم ما هم فيه من شرك وبدع وخرافات وبعد من الله، سبب اضطهادهم ما هم فيه من إفراط أو تفريط فهم على قسمين:

قسم مفرِّطون، ملاحدة، متنكرون للدين، لا يأتمرون بالمعروف ولا ينتهون عن منكر، تجدهم يتنكّرون لأوامر الله، يستهزئون بالدين، يستهزئون بأهل الدين، يستهزئون بمن يدعو إلى الدين، يسبون أهل الدين، ويتهكمون بهم ويتنكرون عليهم، يستهزئون بالسنة، ينشرون في صحفهم ما يندى له الجبين من الإلحاد والفجور والمجون، وسب الله ورسوله، والتهكم بالدين. هـٰذه طائفة.

طائفة أخرى غلت، تستمطر النصر من أصحاب القبور، وتنادي أصحاب الأضرحة، مدد يا فلان، أعطني يا فلان، وهـٰذا لا يعني أن الخير مفقود، الخير موجود ولله الحمد، والأمة بخير، والأمة شيبا وشبابا فيهم الخير الكثير؛ لكن يحتاج إلى صدق مع الله -عز وجل- وإلى عودة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[الرعد:١١]، فأخطر ما يكون على الأمة هو الشرك، دعاء غير الله، دعاء الموتى في قبورهم، الطواف بقبور الموتى، استمطارهم الرحمة، اللجوء لهم، الخوف منهم، خوف السر؛ عندما يخافون من الموتى في قبورهم أن يفعلوا بهم شيئا من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. هـٰذا هو الشرك.

✧ ✧ ✧

[المتن]

القاعدة الأولى: **أن تعلم أنّ الكفّار الذين قاتلهم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُقِرُّون بأنّ الله -تعالى- هو الخالِق المدبِّر، وأنّ ذلك لم يُدْخِلْهم في الإسلام، والدليل قوله تعالى:** ﴿**قُلْ مَن**

---

(١) البخاري: كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، حديث رقم (٦٤٧٧).

مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، حديث رقم (٢٩٨٨).

يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾[يونس:٣١].

[الشرح]

هـٰذه القاعدة الأولى أن الإقرار بتوحيد الربوبية أمر قد فطر به أكثر الناس، حتى المشركين، فقوم نوح، وقوم عاد، وقوم صالح، وكفار قريش، كلهم يقرون بأن الله هو الخالق الرازق.

هـٰذه القاعدة الأولى من القواعد الأربع أنّ كثيرا من المشركين، ومنهم كفار قريش، وكذلك قوم نوح، وقوم عاد، وقوم هود، وغيرهم؛ بل أكثر المشركين كانوا يقرّون بتوحيد الربوبية؛ يعني يعتقدون أن الله خالقهم ورازقهم ومالكهم وبارئهم والمتصرف فيهم، وأنّه هو الذي يحيي ويميت، وبيده الأمر كله، وإليه يرجع أمر كله، غير أنّ هـٰذا الإقرار بتوحيد الربوبية، لم يكونوا به مسلمين؛ لأنهم جحدوا لازمه وهو توحيد الألوهية، جحدوا أن يكون الله –تعالى– هو المستحق للعبادة، فلما جحدوه ما نفعهم هـٰذا الإقرار.

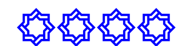
قبل ذلك ذكر الشيخ دليلا –والأدلة كثيرة– فقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ﴾[يونس:٣١]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[لقمان:٢٥]، هـٰذا الإقرار لا ينفعهم وحده؛ لأنهم كفروا بلازمه وهو كون الله معبودا ومستحقا للعبادة، ولذلك كفّار قريش ما أنكروا الربوبية؛ بل أنكروا الألوهية قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هـٰذا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥)﴾[ص:٥]، وقد ربط الله بين هـٰذين الأمرين في آية البقرة وغيرها من الآيات؛ في آيتين من سورة البقرة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾[البقرة:٢١-٢٢]، أولا أمر بالعبادة ثم بين الأدلة التي بها يستحق العبادة ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ﴾، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء﴾ وهو الذي بارك في هـٰذا الماء، وهو الذي أنبت النبات ثم ختم الآية بقوله: ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي إذا علمتم أن الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– هو الذي أوجد ذلك كله، ورزقكم، وخلقكم، ومنّ عليكم، فعليكم أن تفردوه وحده، وأن لا تجعلوا له أندادا، والند هو المثيل والنظير والشبيه، فإنّ الذي خلقنا ورزقنا وأحيانا ويميتنا، هو القادر على إحيائنا مرة أخرى، هو المستحق

للعبادة وحده دونما سواه.

إذن هــٰذه القاعدة خلاصتها أنّ أكثر المشركين يقرّون بتوحيد الربوبية؛ لكنه لا ينفعهم لأنهم ما عبدوا الله؛ بل ذبحوا لغير الله، ونذروا لغير الله، واستغاثوا بغير الله، وتوكلوا على غير الله، وطلبوا الهدى من غير الله، فما أشبه الليلة بالبارحة.

كذلك الآن شأنهم شأن أصحاب القبور في هــٰذا الزمان؛ الذين يستمطرون منهم الرحمة والمغفرة والبركة؛ بل إنهم وصلوا إلى درجة تفوق شرك الأولين؛ لأنهم -كما سيأتينا في القواعد الأخرى- كانوا يلجؤون لله تعالى في الشدة ويشركون به في الرخاء، وهــٰذا عين التناقض لو كانوا يفقهون.

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفقنا وإياكم لما فيه رضاه، وأن يصلح أحوال المسلمين، وأن يجمع كلمتهم على الحق وأن ينصرهم على عدوه وعدوهم نصرا مؤزرا، وأن يجمع كلمتهم على الحق، وأن يعيدهم إلى تحكيم شرعه، وإلى سنة المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



بسم الله الرحمـٰن الرحيم

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

[المتن]

القاعدة الثانية: **أنّهم يقولون: ما دعوناهم وتوجّهنا إليهم إلا لطلب القُرْبة والشفاعة، فدليل القُربة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾**[الزمر:٣].

ودليل الشفاعة قوله تَعَالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[يونس:١٨].

والشفاعة شفاعتان:

- **شفاعة منفيّة.**
- **وشفاعة مثبَتة.**

فالشفاعة المنفيّة ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلاّ الله، والدليل قوله تَعَالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[البقرة:٢٥٤].

والشفاعة المثبَتة هي: التي تُطلب من الله، والشّافع مُكْرَمٌ بالشفاعة، والمشفوع له: من رضيَ اللهُ قوله وعملَه بعد الإذن كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[البقرة:٢٥٥].

[الشرح]

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه أجمعين.

أما بعد؛ القاعدة الثانية أن هؤلاء الذين أقروا بتوحيد الربوبية وأقروا بأن الله خالقهم ورازقهم ومالكهم والمتصرف في أمرهم، يلجؤون إلى غير الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- بدعوى أن ذلك الذي يلجؤون إليه يكون شفيعا لهم عند الله، وأنهم يتقربون به ويتوصلون به إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ، ويظنون أن ذلك يقربهم إلى الله زلفى.

والقسم الآخر يتخذون شيوخهم شفعاء؛ يشفعون لهم عند الله.

وقسم ثالث يدعون أن هـٰذا من أنواع التوسل فقط، والتوسل سنتحدث عنه إن شاء الله في غير شرح هـٰذه القواعد، سنتحدث عنه بتفصيل ما يجوز منه وما لا يجوز.

ودليل تعلقهم بدعوى أنه قربة ما حكاه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عنهم في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر:٠٣]، يعني يتخذونهم وسائط بينهم وبين الله، بدعوى أن العمل الذي يتقدمون به لا يصل إلى الله إلا عن طريق هؤلاء الشيوخ، ولذلك فإنهم يتّخذونهم وسطاء؛ يذبحون الذبائح، ويقدمون القرابين، وينذرون النذور. ويقولون: نحن نريد بها وجه الله؛ لكن هـٰذا الشيخ يوصلها -على حد زعمهم- إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. وهـٰذا عين الباطل، وهـٰذا هو الشرك الذي وُجد في قوم نوح ومن جاء بعدهم.

فإذا قلت لأحدهم: لماذا تذبح لصاحب هـٰذا القبر أو الضريح؟ ولماذا تنذر له؟ ولماذا تقيم له الأعياد والموالد؟ ولماذا تضع له الصناديق والستور التي ترمى فيها النقود، ليأكل أولئك الزبانية أموال الناس بالباطل؟

يقول لك: إن هـٰذه الأعمال لا تصل إلى الله إلا عن طريق هـٰذا الشيخ، وقد غَرَزَ في أذهانهم بعض طواغيت الطرق أنّ من لم يتّخذ شيخا بينه وبين الله، فإن عمله لا يصل إلى الله، فيقولون: من من لم يكن له شيخ، فشيخه الشيطان، فنحن نقول له : من اتخذ شيخا يعبده من دون الله، ويتوسل به، ويستشفع به، وينذر له، ويذبح له، هـٰذا هو الذي شيخه الشيطان.

وجعلوا الإسلام طرقا وأحزابا وشيعا، والله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يقول: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾[الأنعام:١٥٣]، فالإسلام جماعة واحدة لا جماعات، وطريق واحد لا طرقا، وحزب واحد لا أحزابا، وأمة واحدة لا أمما، ﴿وَإِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢)﴾[المؤمنون:٥٢]، ومن جوّز تعدد الجماعات في الإسلام فقد أعظم على الله الفرية، فلا يجوز اتخاذ جماعات متناحرة، كل واحدة تختط لها طريقا معينا تتعبد عليه، ومن أعجب استدلالاتهم ولعبهم بالنصوص الشرعية استدلالهم بقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا (١٦)﴾[الجن:١٦]، ما المقصود بالطريقة؟ الطريقة هي الإسلام؛ هدي الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأما أن يُستدل بهـٰذا على جواز تعدد الطرق، فإن هـٰذا من أعظم الافتراءات على الله، ومن أعظم التحريف للقرآن.

والصنف الثاني يعدون شيوخهم للشفاعة، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ

يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ﴾[يونس:١٨]، قال الله –تعالى– رادا على ذلك: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر:٤٤].

والشفاعة على قسمين: شفاعة مثبتة وشفاعة منفية.

الشفاعة المنفية: هي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، وهي المنفية في قول الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)﴾[البقرة:٢٥٤]، قول الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾، وقول الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)﴾[المدثر:٤٨]، وهي الشفاعة الشركية التي تطلب من المخلوقين بغير قيد ولا شرط.

الشفاعة المثبتة: وهي ما توافر فيها شرطان:

الأول: إذن الله للشافع كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[البقرة:٢٥٥].

والثاني: الرضا عن المشفوع له، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَ لِمَنِ ارْتَضَى﴾[الأنبياء:٢٨].

فقد جمع الله بين الشرطين في سورة النجم في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَٰوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى (٢٦)﴾[النجم:٢٦].

فالشفاعة ثابتة بهذين القيدين وهذين الشرطين، إن لم يتحققا فإنها شفاعة منفية.

ولعل الحديث عن الشفاعة يطول لو أردنا أن نتحدث عن أقسامها، فلعله يُرجأ إلى وقت أخر إن شاء الله؛ لكن الخلاصة أن نفهم شروط الشفاعة، وهو أنه لابد فيها من أمرين:

إذن الله للشافع.

ورضاه عن المشفوع له بأن يرضى الله قوله وعمله.

هـٰذه القاعدة تتطلب معرفة الشفاعة المثبتة والشفاعة الباطلة المنفية.

وأضرب مثلا لكم بجملتين متقاربتين إحداهما شفاعة شركية، والأخرى شفاعة قائلها موحد تماما، هما جملتان متقاربتان تتعلقان بالحبيب المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلو أن مسلما قال: اللهم شفع فيّ نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللهم ارزقني شفاعة نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللهم اشملني بشفاعة نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللهم لا تحرمني من شفاعة نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللهم اجعلني ممن ينتفع بشفاعة نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هـٰذه الجمل ما حكمها؟ توحيد محض؛ لأنك طلبت الشفاعة من الله وحده.

لكن لو أنّ واحدا وقف الآن -كما هو حال بعض الناس- عند القبر فقال: الشفاعة يا رسول الله. هـٰذا شرك محض، لماذا؟ قلنا: إن كلمة (الشفاعة يا رسول الله) شرك محض، وقلنا: إن (اللهم شفع فيّ نبيك) توحيد محض، لماذا؟ لأن الشفاعة التي ينطق بها أهل التوحيد، هم يطلبونها من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ، أما أولئك يطلبونها من المخلوق، والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يستشفع به على أحد، ولا يستشفع من المخلوق على الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ.

لذلك يجب التنبه، فالشفاعة لا تطلب من النبي مباشرة، وإنما تطلب من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- هـٰذا هو الأدب مع الله ومع رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ﮋﮋ◊ﮊﮊ

[المتن]

القاعدة الثالثة: **أنّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ظهر على أُناسٍ متفرّقين في عباداتهم، منهم مَن يعبُد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار، ومنهم مَن يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولم يفرّق بينهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ...﴾**[الأنفال:٣٩].

ودليل الشمس والقمر، قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[فصلت:٣٧].

ودليل الملائكة، قوله تعالى: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا...﴾[آل عمران:٨٠].

ودليل الأنبياء، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾[المائدة:١١٦].

ودليل الصالحين، قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ...﴾الآية[الإسراء:٥٧].

ودليل الأحجار والأشجار، قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾[النجم:١٩-٢٠].

وحديث أبي واقدٍ الليثي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: خرجنا مع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى حُنين ونحنُ حدثاء عهدٍ بكفر، وللمشركين سِدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال

لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط... الحديث.[١]

[الشرح]

هـٰذه القاعدة العظيمة تبيِّن أن باب الشرك واحد أيًّا كان، كل ما يُتعلق به من دون الله، وكل ما صرف له أي نوع من أنواع العبادة يعتبر شركا لله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، فالذبح لغير الله، والنذر، والصلاة، والصوم، والحج، والإنابة، والاستغاثة، والاستعانة.. أي نوع من أنواع العبادة إذا صرف لغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ فإنه شرك بغض النظر عن المدعو، وسواء كان المدعو: نبيا، أو ملكا، أو عبدا صالحا، أو حجرا، أو شجرا، أو مدرا، أو أي مخلوق على وجه الأرض إنسانا كان أو حيوانا أو نباتا أو جمادا؛ لأنا نحن ننظر إلى وضعه بالنسبة للعابد، بغض النظر عن حال المعبود، أما المعبود قد كون نبيا أو ملكا أو عبدا صالحا بريئا ممن يعبده؛ ولكن بالنسبة لمن يعبده هو الذي تتعلق به الأحكام.

والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد أن دعا المشركين إلى عبادة الله وحده أكثر من خمسة عشر سنة، وبعد أن قويت شوكة المسلمين، عند ذلك قاتل المشركين جميعا، سواء كان منهم من يعبد الأنبياء أو من يعبد الملائكة أو من يعبد الأشجار أو من يعبد الرجال الصالحين، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه﴾[الأنفال:٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾[التوبة:٣٦]، والقتال يكون بشروطه ومقوماته التي سبق أن أشرنا إليها أكثر من مرة؛ أعني الجهاد، لابد أن تكون قد هيئت الظروف التي هيأ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- لك ما تتمكن به مع الجهاد: من إذن ولي الأمر، وإذن الوالدين، والقوة والشوكة والمنعة والإخلاص لله وحده، وكون ذلك الجهاد لا يعود بأمر عكسي على الإسلام والمسلمين، وغلبة تحقق النصر، والاستقامة قبل ذلك كله على طاعة الله جل وعلا؛ لأن الخوف على المجاهدين من المعاصي أكثر من الخوف عليهم من هزيمة العدو؛ لأن المعاصي هي أكبر معول يؤدي إلى الهزيمة.

لذلك فإن الواجب على المسلم أن لا يأخذ فتاوى في هـٰذا الباب إلا عن العلماء الربانيين -أعني في مسألة الجهاد- أما الغوغائية الموجودة الآن، وما يدعو إليه بعض الجهلة من جهاد مزيف، لا يقوم على إخلاص، ولا على شوكة، ولا على منعة، ولا على إذن إمام، ولا تحت راية التوحيد، هـٰذه

---

[١] **سنن الترمذي:** كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، رقم (٢١٨٠). قال الترمذي: هٰذا حديث حسن صحيح. قال الشيخ الألباني: صحيح.

فوضى، وأما تقتيل المسلمين وترويعهم وتسمية ذلك جهادا فإن ذلك إجرام أعظم إجرام على وجه الأرض، هـٰذا الذي يفعله المجرمون الخوارج، الذين يستحلون دماء الأمة وأموالهم، ويتربصون بهم الدوائر، وكما قلت غير مرة: قدموا خدمة لليهود لم يقدمها اليهود لأنفسهم؛ يعني قدم هؤلاء أدعياء الجهاد المزيف الذي يذّبحون المسلمين في كل مكان ويسمون ذلك جهادا، هـٰذا جهاد في سبيل إبليس، ولا يخدم إلا الشيطان وأعوان الشيطان، فالجهاد لابد له من الشروط والمقومات التي ذكرتها.

وقوله: (قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ...﴾[الأنفال:٣٩].) بعد أن تتهيأ جميع الشروط واللوازم والظروف التي يتمكن معها المسلمون من الجهاد، وإلا فالجهاد باقٍ إلى يوم القيامة؛ ولكن ليس الجهاد القائم لدى بعض الفئات والجماعات التي يفتيهم بعض الجهلة الذين أحدهم أجهل من حمار أهله ويتصدر للفتوى، وقد ورط شباب المسلمين فيما لا قبل لهم به، واستغل جهلهم وسذاجة بعضهم، واستغل بعد بعضهم عن علمائهم فصار يهرف بما لا يعرف، ويدعو الناس إلى جهاد ليس هو بالجهاد الذي أمر به الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلابد أن نتنبه لهـٰذا الأمر حتى لا نقع في الخطأ، الفتوى لا تؤخذ عن أي شخص، وإنما تؤخذ عن العلماء الربانين، الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، الذين يدعون إلى هدي الكتاب والسنة، وليسوا الذين فقط يحكمون عواطفهم في الدين فيفتون بغير علم فيضلون ويضلون.

أما دليل مسألة الشمس والقمر وأنه لا يسجد لهم، ويسجد إلا لله وحده، وقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: (﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[فصلت:٣٧].) هو وحده المستحق للسجود، فلا نسجد لشيخ، ولا لصنم، ولا لوثن، ولا لولي، ولا لملك، ولا لنبي، ولا لأي مخلوق كان على وجه الأرض.

وأما دليل أن الملائكة يطاعون ولا يعبدون، قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (٨٠)﴾[آل عمران:٨٠]، فالله أمركم باتباعهم لا باتخاذهم آلهة، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ﴾[آل عمران:٣١]، دليل الملائكة قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ: ﴿ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا﴾.

ودليل تحريم التعلق بالأشجار والأحجار قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢)﴾[النجم:١٩-٢٢]، أي قسمة خاسرة، إذا قسّمتم فجعلتم لله الإناث ولكم الذكور، تعالى

الله عما يقولون علوا كبيرا، ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩)﴾[الزخرف:١٩].

والخلاصة في هـٰذه القاعدة أن كل ما عبد من دون الله من ذبح، أو نذر، أو صلاة، أو صوم، أو حج، أو إنابة، أو استغاثة، أو استعانة، أو استعاذة، أو خوف، أو رجاء، أو محبة.. كل ذلك يُعتبر عبادة لغير الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، لا فرق بين أن يكون المعبود نبيا، أو ملكا، أو عبدا صالحا، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر:٠٣]، فهؤلاء الصالحون نحبهم ولكن لا نعبدهم ولا نصرف لهم شيئا من أنواع العبادة التي لا تصرف إلا لله؛ لأن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يجب إفراده بالعبادة، ولا تصح العبادة إلا إذا أُفردت لوجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بإخلاص العمل لله وحده، والاقتداء بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أقواله وأفعاله وتقريراته.

❁❁◈❁❁

[المتن]

القاعدة الرابعة: **أنّ مشركي زماننا أغلظ شركـًا من الأوّلين، لأنّ الأوّلين يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدّة، ومشركو زماننا شركهم دائماً في الرخاء والشدّة.**

والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[العنكبوت:٦٥].

[الشرح]

هـٰذه القاعدة تدل على أن مشركي الزمان الأول أهون شركا من مشركي هـٰذه الأزمان، والكلّ شرك أكبر، ومع ذلك فالشرك دركات كما أن النار دركات وكما أن الجنة درجات، فالمشركون القدامى من عهد نوح إلى من بعث الله فيهم نبينا محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هم إذا كانوا في وقت الرخاء والأمن والطمأنينة يسجدون لأصنامهم ويذبحون لها وينذرن لها، وربما جاعوا فأكلوها، يعجن تمرة ويجعلها إلـٰها فإذا ما جاع أكلها؛ لكن إذا ألَمّت بهم الملمات ووصلوا إلى الضنك والشدة، فإنهم ينسون تلك المعبودات كلها، ويلجأون إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)﴾[العنكبوت:٦٥]، الفلك يعني السفينة، إذا ركبوا رأوا الرياح ورأوا الأمواج تذكروا

الله، فإذ نجاهم إلى البر رجعوا إلى غيّهم وإلى عبادة غير الله.

بخلاف عبّاد القبور في هـٰذه الأزمنة فإنهم يلجأون إليها في الشدة والرخاء معا؛ بل إن لجوءهم إليها في وقت الشدة أكثر؛ بدعوى أنهم ينقذونهم من تلك الورطات التي هم فيها، ولذلك يقول قائلهم: إذا أعيتكم الأمور فعليكم فيكم بأصحاب القبور. وماذا يملك أصحاب القبور، ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (٢٢)﴾[فاطر:٢٢].

إذن هؤلاء الذين يتعلّقون بالقبور في بعض البلاد الإسلامية تجدهم يتعلّقون بها حتى في أوقات الشدة، فإذا أصابهم ما أصابهم ذهب إلى ضريح فلان، وقال: مدد يا فلان، أغثني يا فلان، أعطني يا فلان، أنا في حماك يا فلان، أنا في رجائك يا فلان، وهـٰذه الطريقة لا توجد حتى في الجاهلية.

إذن الأمر أخطر الآن بالنسبة لمشركي هـٰذا الزمان، الأمر في غاية الخطورة؛ لأنه يصيبه رعب إذا وقف عند الشيخ، ولذلك أنا أظن أني ذكرت لكم مرة قصة ذلك الذي أرادوا أن يحلفوه في المحكمة على المصحف فحلف أيمانا مغلظة أنه ما سرق، ولما أرادوا منه الاعتراف أخذوه عند قبر الشيخ فأبى أن يحلف واعترف بالسرقة، بذلك فإن الشيخ في نفسه أعظم من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك يجب التنبه لهـٰذا، وننصح إخواننا الذين يقعون في هـٰذه الأمور جهلا منهم، أن يناصحوا بالتي هي أحسن، بالحكمة فالموعظة الحسنة، وينبهون إلى أهمية الارتباط بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والاعتماد عليه والتوكل عليه في كل شيء.

وبهـٰذا نكون قد انتهينا من هـٰذه القواعد الأربع، ولعلنا نستأنف كتبا آخر إن شاء الله، المرشح من أخلاق الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لفضيلة شيخنا الشيخ عبد المحسن العباد البدر إن شاء الله،

سؤال: هل يعذر الناس بالجهل في مسائل الشرك؟

الجواب:مسألة العذر بالجهل في مسائل الشرك لأهل العلم فيها قولان:

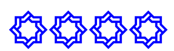
قسم يرون أن من كان في بلاد المسلمين أنه لا يعذر.

وآخرون يقولون: إذا لم تقم عليه الحجة، وتتضح له، وتوضح له، وتزال عنه الشبه، فإنه يكون معذورا عند ربه.

وأحيلكم على كتاب شيخنا الشيخ عبد المحسن العباد البدر حفظه الله الجديد بعنوان بشروط الصلاة تتطرق فيه إلى هـٰذه المسألة، وتكلم فيه بما لا مزيد عليه، فهـٰذه المسائل ترجعون فيه إليه وإلى غيره من علماء الأمة.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجعلنا

وإياكم ممن يسمع الكلام فيتبع أحسنه، وأن يتقبل منا وإياكم الصلاة والقيام، وأن يجعلنا من عتقائه في هذا الشهر الكريم، وإنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



المحتويات

